الاقتباس والتضمين في
شعر العباس بن مرداس السلمي

أ٠م٠د عبد العظيم فيصل صالح   د٠خالدشكر محمود صالح

جامعة سامراء –كلية التربية –قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله الذي ميز الأمة بلسان عربي مبين والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى اله وصحبه أجمعين وعلى من اقتفى اثرهم الى يوم الدين

اما بعد:

فأن العصر الاسلامي قد فتح افاقا جديدة أمام الأنسان المسلم لما فيه من قيم روحية نبيلة ومفاهيم جديدة جعلته يسمو بأعماله وسلوكياته الى مراتب عليا ليكون انموذجا في هذة الأرض وليطبق عليها شريعة السماء التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى للأمة الاسلامية ولاسيما العربية وكان لهذة القيم تاثيرا عظيما على الشعر والشعراء ،فأخذوا ينهلون من معينه الذي العذب الذي طالما أمدهم بالصور الفنية البارعة والأخيلة الجميلة ، فضلا عن الفنون البلاغية التي طرزت اشعارهم بحلل زاهية ، لقد وجد العباس بن مرداس ضالته في الاقتباس والتضمين احساسا منه باهمية الموروث الديني والادبي كونه عنصرا محركا في حياة العربي المسلم ٠

لقد وظف الشاعر الموروث الديني خير توظيف في شعره لأنه استوعب ثقافة أمته ومثلها بصدق وأمانة ، ووجد في هذا الفن متنفسا للتعبير عما يجول في خلجات نفسه المؤمنة ، فصبها في قالب بديع السياق متكامل الجوانب ، لذلك انتهل من هذا المورد العذب احساسا منه بأن هذا الفن يجعل أشعاره أكثر قوة وتأثيرا في النفوس ، وليكتب لها الخلود في ذاكرة الأجيال لما فيها من حكم ومواعظ وعبر ، لذا كان القران الكريم أول الروافد التي نهل منها الشاعر ليطرز بها أشعاره ويكسوها بحلل دالة على الجمال ، فأختار منه ما يناسب غرض القصيدة ومناسبتها .

وأما الرافد الثاني فهو الحديث الشريف وما اشتمل عليه من الدعوة الى القيم النبيلة وسلوك الطريق الذي يوصل الانسان الى الفوز في الدارين ، فضمن أشعاره الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة رغبة منه في رفع القيمة المعنوية لأشعاره .

وأما الموروث الأدبي وما فيه من معاني بديعة وحكم بالغة ، فقد ارتشف من معينة الذي لاينضب ، وكانت الأمثال لونا اخرا اعتمد عليه الشاعر ليعمق دلالتها على المعنى المراد وقد اقتبس بعض معاني الأشعار من الشعراء السابقين دون ان يكون ناسخا لمعانيها اذ حاول ان يجدد في المعاني ولأفكار ، ووضعها في قالب جديد من الألفاظ ، وبذلك يكون قد وظف جزءا من ثقافته المتنوعة من اجل اكساء اشعاره رونقا وحمالا .

ISSN : 1813-6798

الاقتبـــاس

الأقتباس لغة":- (اقتبست منه علما" اي استفدته)(١)

اما اصطلاحا (هو آن يضمن المتكلم منثوره ، شيئا" من القرآن ، أو الحديث على وجه لايشعر بأنه منها)(٢)، فالمصدر الأساسي للاقتباس١٣٠ هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهذان المصدران يمثلان أهم الألهام الشعري (٣)فضلاً عن كونهما أهم مصدريين من مصادر ثقافتنا الأسلامية ، بمايشتملان عليه من حكم ونصائح وارشادات تساعد في توجيه المسلم الوجهة الصحيحة في كل زمان ومكان ٠

ان القرآن الكريم والحديث الشريف على الرغم من كونهما مصدريين مهمين واساسيين من مصادر التشريع الإسلامي ، يمثلان ايضا في بلاغتهما المتميزه مادة تعبيرية يستمد منها الشعراء والكتاب العبارات الفنية التي يحتاجونها في اغراضهم الأدبية ، ومحاولة رسم صورهم بما من يتماشى مع اغراضهم ، ومن ثم يصبح ما جاء في القرآن الكريم من قصص ومواعظ ، وما فيه حوادث وأسماء وشخوص ورموز كلها دلالات تلبي حاجة الشاعر وتساعده على التعبير عما يجول في خلجات نفسه من أحاسيس ومشاعر ، كذلك الحديث الشريف وما اشتمل عليه من قيم دينية ، وتوجيهات تربوية ، كالدعوة الى التناصح والتشاور والتآلف ٠٠٠الخ ، من القيم التي تنظم علاقة الفرد مع خالقه ومع افراد جنسه ٠

ولشاعر العباس بن مرداس السلّمي كغيره من شعراء الإسلام كان حريصاً على تضمين أشعاره أيات من الذكر الحكيم فقد يقتبس جزءاً من اية او اشارة الى معنى ورد في خضم احد الأيات القرآنية ، وقد نهج نهجاً فنياً في تعامله مع النصوص المقتبسة ، فهو اما ان يصرح في شعره نصاً أو حرفاً ، أو يضمن نصه الشعري معنى من معاني الآيات القرآنية ، اذ يبدو النص وكأنّه من نسجه العام ،ومن ذلك قوله في مدح الرسول (صل الله عليه وسلم):

وكنّا له دون الجنود بطانةً يشاورنا في امره ونشاوره(٤)

فقد اعتمد الشاعر على قوله تعالى ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ))(٥)، ان هذا الإقتباس ساعد الشاعر كثيراً في التأكيد على مبدأ الشورى الذي انتهجه المسلمون الأوائل في سبيل الوصول الى تحقيق اهدافهم النبيلة في اسعاد البشرية واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة ربّ العباد ، لافرق بين عربي واعجمي الاّ بالتقوى ، ومن شواهد تمثل القرآن عند الشاعر قوله :

بأنّ محمداً عبدٌ رسولٌ لربّ لايضلّ ولايجورُ(٦)

فالشاعر استعان في بناء بيته على أكثر من نص قرآني،اذ اقتبس من قوله تعالى(**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)(٧)،وقوله تعالى((قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا

يَنْسَى))(٨)،ان هذا التعدد في الإقتباس يدلل على استيعاب الشاعر لمعاني القرآن لما لها من تأثير في حياة الإنسان المسلم،لذا ركزفي بداية شطره الأول على النبي محمد **(صلى الله عليه وسلم)**

فأطلق عليه صفة العبد دلالة على بشريته وانسانيته،أما الشطر الثاني فقد افرد فيه صفتين لله تعالى وهما عدم النسيان وعدم الظلم،وهذا خلاف ماعليه البشر من النسيان والظلم ويصورالشاعرماحلّ بالمشركين من هلاك ودمارفي معركة حنين،فيقول:

حتى تولواوقتلاهم كأنّهم   نخلٌ بظاهرة البطحاء منقعر(٩)

اذ اقتبس الشاعرمن قوله تعالى((**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**))(١٠)

انها صورةٌ بارعة رسمها الشاعر لهلاك المشركين يوم حنين تشبه صورة هلاك الكفار من قوم عاد التي وردت قصتها في القرآن الكريم ، اعتمد فيها على ما ورد من ايات في القرآن الكريم تناسب ذلك الحدث المهم في حياة المسلمين٠

ويرى الشاعر بان الصبر في سوح الوغى هو سبب في النصر على الاعداء، اذ يقول:

وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا   لله ننصر من شئنا وننتصرُ(١١)

اقتبس ذلك من قوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**))
ويقتنص الشاعر الفاظاً من كتاب الله وهي كلمة (السوابح) فيقول:

الأ السوابح كالعقبان مقربةً   في دارة حولها الأخطار والعكرُ(١٣)

اذ اخذ اللفظ من قوله تعالى ((وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا)) (١٤)اذ دلل من خلال اللفظ المقتبس على سرعة الخيل واقتحامها للأهوال والخطوب وكأنها تسبح في الهواء بجريها ، وبذلك فقد علم الشاعر ما للألفاظ من تأثير في نفس المتلقي ، يقول عبد القاهر الجرجاني (انه لوكانت المعاني تبعاً للألفاظ في ترتيبها لكان مجالاً ان تتغير المعاني والألفاظ بجمالها لم تزل عن ترتيبها ، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغيير من غير ان تتغيير فيها الألفاظ وتزول عن اماكنها ، علماً ان الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة)(١٥)

وقد احسّ الشاعر بتأثير القرآن الكريم في نفس المتلقي مما جعله يقتبس او يشير ضمناً الى معنى الآيات القرآنية التي كان يوظفها في شعره، يقول :

نمضي ويحرسنا الإله بحفظه   والله ليس يضيع من يحرس(١٦)

وكأنه يستحضر قوله تعالى ((قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))(١٧)وهنا يتجلى النفس الإيماني والاعتقاد الصادق بأن الله ينصر عباده المؤمنين الصادقين اذا اخلصوا العمل والنية لوجهه تعالى ،وهنا(ا يتفق الشعراء على أن ينهلوا من المادة الإسلامية مما يدعم شعرهم الى جانب المادة التي قدمها لهم واقع العصر)(١٨).

وقوله أيضاً:

وجهتُ وجهي نحو مكةَ قاصداً   وتابعتُ بين الأخشبين المباركا(١٩)

فقد حاول الشاعر اقتباس لفظتي(وجهت وجهي) من قوله تعالى((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(٢٠) ولا بخفى هنا ما لهذا الإقتباس من دور في انهاض الصورة الفنية وتاثيرها على المتلقي،وقوله كذلك:

أمينا على الفرقان أول شامخ   وآخر مبعوث يجيب الملائكا(٢١)

في البيت تظهر الروح الإسلامية واضحة من خلال اقتباس الفا ظ استعملها القرآن الكريم كاللفظة الواردة في البيت (الفرقان) بقوله تعالى((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٢٢)،وهي لفظة حديثة العهد وردت اول مرة في القرآن مما زاد في الطاقة التعبيرية والدلالية بما أدخله فيها من مفردات جديدة لم تكن معروفة من قبل،أو بما استحدثه من معان طوعت لها لم تكن تستعمل فيما مضى ، ومن ذلك:الفرقان ،الشرك ،الجنة ،النار ٠٠٠)(٢٣) ،وبذلك يكون القرآن الكريم قد اثرى الأدب العربي بألفاظ جديدة لم تكن مستعملة من قبل،وقوله :

نبايعهُ بالأخشبين وانما   يدُ الله بينَ الأخشبين نبايعُ(٢٤)

وهو مقتبس من قوله تعالى((**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**))(٢٥)

فالشاعر كان شديد الحرص على اظهار ميزة الرعيل الأول من الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين آووا ونصروا فنالوا لفلا ح في الدنيا والآخرة .

يورد الشاعر في بعض قصائده اسماء الكثير من الأنبياء والرسل على سبيل اخذ العظة والعبرة من قصصهم،من ذلك قوله:

وجدناهُ نبياً مثل موسى   فكلُّ فتىً يخايره مخيّرُ(٢٦)

يبدو على البيت أنّ الشاعرقد استلهم قصة موسى (**عليه السلام**)مع فتاه في بحثه عن الرجل الصالح ليتعلم منه ولتي وردت في قوله تعالى((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)(٢٧) فكأنّه برفقته للنبي (**صلى الله عليه وسلم**) تشبه رفقة يوشع لموسى (**عليه السلام**)،وهكذا (أحيا القرآن فنوناً أدبية جديدة ،كأدب القصة والتاريخ وأدب الزهد والحكمة)(٢٨)

ويأتي خبر نبي الله داود (**عليه السلام**)بعد ذلك وعمله في صناعة دروع الحرب ،فيتحدث عنها في شعره اذ يقول":

في كلّ سابغة غير سردها   داود اذ نسج الحدبد وتبّع (٢٩)

وقوله :

جئنا بألف من سليم عليهم   لبوس لهم من نسج داود رائعُ(٣٠)

اذ ورد خبر هذه الصنعة بقوله تعالى((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ))(٣١)

فقد وجد الشاعر في صنعة داود(**عليه السلام**) منتهى الصنعة لأنّ الغالب على صنعته الإتقان والإخلاص،لذا(ضلت المادة الدينية بمثابة امتداد طبيعي للمعجم الإسلامي الذي جذب اليه الشعراء فأخذوا منه مادة متتنوعة)(٣٢) وبذلك فقد أصبح القرآن الكريم احد الروافد التي نهل منه الشعراء مادتهم الموضوعية والثقافية، لتصبح مادة غنية في معاجم الشعراء٠

ومن الأنبياء الذين وردت اسماؤهم عند الشاعر (عيسى)(**عليه السلام**)،اذ يقول:

نبيٌّ أتانا بعد عيسى بناطق   من الحقّ فيه الفصل كذلكا(٣٣)

فهنا يشير الشاعر الى معجزة من معجزات عيسى (**عليه السلام**)حينما نطق وهو قي المهد،وقد ورد ذلك في كتاب الله ((**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**))(٣٤)

يبدو أن الشاعرأوجد نوعا من الموأمة بين نبي الله عيسى (**عليه السلام**)،ونبينا (**عليه الصلاة والسلام**) فكلاهما جاء الحق على لسانه جليا واضحا ،وهنا تظهر امكانية الشاعر وقدرته على الجمع بين المتباعدات،وأشار في شعره الى الكثير من غزوات الرسول (**صلى الله عليه وسلم**)ومنها فتح مكة ،ومعركة حنين ، فيقول :

أطعناك حتى أسلم الناسُ كلُهمُ   ومتى صبحنا الجمع أهلّ يلملما(٣٥)

فقد ألمح الشاعر الى فتح مكةحين دخل الناس افواجا في هذا الدين وفيها اقتباس المعنى من قوله تعالى((**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**))(٣٦)

اما الحدث الأكبر في حياة العباس بن مرداس فهو معركة (حُنين) اذ تكررت كثيرا في ثنايا شعره ،والسبب كما نرى انه كان جنديا قد خاض غمارها وأهوالها ودافع ببسالة عن دينه الاسلامي ،يقول :

ونحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزاً وعند اللهُ مدّخـر (٣٧)

وقوله:

ويوم حنين حين سارت هوازن الينا وَضاقت بالنفوس الأضالعُ(٣٨)

فالشاعر صور هذه المعركة أبرع تصوير من خلال الإتكاء على قوله تعالى ((**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّـهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**))(٣٩)

ان ذكر هذا الموقف العصيب في حياة المسلمين فيه العديد من العبر والدروس منها عدم الإغترار بالكثرة وضعف التوكل على الله ،والتي كادت تؤدي الى خسارة المسلمين لهذه المعركة ،لولا عودتهم الى طريق الحق

أما الأصل الثاني الذي اقتبس منه الشاعر فهو الحديث الشريف ومافيه من الحكم والمواعظ التي اغنت حياة المسلم الدينية والدنيوية فهي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم ،اذ نجد الشاعر يضع نصب عينيه هذا المنهل الصافي ليطرز به اشعاره ويكسوها درراً مضيئة تعمق الدلالة في هذه الأشعار، من ذالك قوله:

لاوفدَ كالوفد اللأُلى عقدوا لنا سبباً بحبل محمد لايقطعُ (٤٠)

فالشطر الثاني من البيت مقتبس من قوله (**صلى الله عليه وسلم**) (**كلُّ سبب ونسب فانّه منقطع يوم القيامة الاّ سببي** ونسبي)(٤٣)،وهنا دلل باللإقتباس ليبين صلته الدينية والعقائدية برسول الهدى (**صلىالله عليه وسلم**) وقوله

ان كانَ جارِكَ م تنفعكَ ذمّتهُ وقد شربتَ بكأس الذلّ أنفاسا (٤١)

أراد الشاعران ينبه على خلق إسلامي رفيع ألا وهو حماية الجار ونصرته والإحسان اليه وهو مأخوذ من قوله (**صلى الله عليه وسلم**)(**ويسعى بذمتهم أدناهم**)(٤٢)لقد كان حظه من اقتباس الأحاديث النبوية قليلاً ولعل السبب في ذلك هو اعتماده الاكثرعلى الآيات القرآنية الكريمة فاكتفى بالقرآن الكريم لكونه مصدر التشريع الأول ،وهو بذلك قد طرز أشعاره بدرر لامعة من خلال استيعابه لآيات القرآن الكريم وفهم معانيه ،فصبها في قالب بديع امتزجت معه تجربته الشعرية الناضجة.

التـضميـن

التضمين في اللغة:(ضمّن الشيء ،أودعه اياه كما تودع الوعاء المتاع ،والميت القبر،وقد تضمنه هو)(٤٣)

أما في الإصطلاح :فهو(قصدك الى البيت من الشعر او القسيم فتأتي به في آخر شعرك أوفي وسطه كالمتمثل)(٤٣) ،بمعنى ان يقوم الشاعر بتضمين كلامه شيئا من مشهورشعر الغيربشرط أن يحسن استعماله ،ولا يعد ذالك عيبا عند الشاعر يقول أبوهلال العسكري:(ليس لأحد من أصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ،ولكن عليهم ـاذا أخذوها ـ أن يكسوها ألفاظامن عندهم ،ويبرزوها في معارض من تاليفهم ،ويوردوها في غير حليتها اللأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فاذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها)(٤٤)

لذاتأثر العباس بن مرداس بالتراث الأدبي فوظفه خير توظيف في شعره ،فهو لم يكن ناسخا لأشعار من تقدمه وانما يحاول أن يصبها في قالب جديد،من ذلك قوله

وسُرنا كَموج البحِر تَطمو سيوله   بخيلٍ تراها في العجاجة تمزعُ(٤٥)

فقد أخذعبارة (موج البحر) من قول امرئ القيس :

وليلٍ كَموج البحر أرخى سدُوله   عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي (٤٦)

ويبدو أنشاعرنا استعمل(موج البحر) استعمالاَ آخرا وهو وصف الجيش بالكثرة والعدد ولعله استعمال جديد لم نألفه عند الشعراء الذين سبقوه ،بل أنّ غالبيتهم استعملوه في وصف طول الليل

وقوله أيضاً :

في مأزقٍ من بَحرِ الحربِ كَلكلها   تكادُ تأفلُ منه الشَّمُس والقمرُ (٤٧)

فقدتفننى الشاعراذ نقل لفظة (كلكل)من وصف طول الليل الى وصف أهوال الحرب وطول ساعاتها ،اذ وردت اللفظة عند امرئْ القيس في قوله:

فَقُلتُ لهُ لمّا تَمَطّى بِصلبهِ   وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ (٤٨)

وكذلك قوله:

فآبوبها عرفاً وألقيتُ كلكلي   على بطلٍ شاكي السّلاح مكلَّمِ (٤٩)

وقوله :

يادارأسماءَ بينَ السَّفح فالرُّحب   أقوت وعفى عليه ذاهب الحقب (٥٠)

فالشا عر يبدو أنه نظر الى قول النابغة الذبياني :

يادار ميّةَ بالعلياء فالسّند   أقوَت وطالَ عليها سالفُ الأَبدِ(٥١)

فالشاعريبدوعليه التقليد والمحاكاة للشعراء القدامى في بناء قصائدهم على تقاليد فنيه تعارف عليها الشعراء في كل العصور كالوقوف على الأطلال أو الغزل ٠٠٠الى غيرذلك ٠

وقوله : **ياخيرُ من ركبَ المطيّ ومن مشى   فوقَ التراب اذا قعدَ الأنيسُ (٥٢)**

فقد أخذ عبارة (خيرُ من ركب المطيّ) من قول أم حكيم البيضا قي رثاء أخيها عبد المطلب حين أحس بدنو الأجل ،فقالت :

وأبكي خير من ركبَ المطايا   أباكَ الخير تيار الفرات (٥٣)

ولعله كان أكثر ميلا الى تضمين أشعاره العديد من الأمثال حرصا منه على تزيين أشعاره وكسوتها بسمات بلاغية من خلال تكثيف المعاني بقليل من الألفاظ، من ذلك قوله :

وما أن طبهُم جبنَ ولكن   رميناهم بثالثة الأثافي(٥٤)

اذ أخذه من المثل القائل (رماهُ الله بثالثة الأثافي)(٥٥) وهي أن يوضع أثفيتان الى جانب قطعة من الجبل ثم يوضع القدر على الأثفيتين والقطعة من الجبل،وقوله:

فان يَهدوا الى الإسلامِ يَلفوا   أنوفَ الناسِ مَا سَمر الِسميرُ(٥٦)

فقد تضمن البيت المثل القائل (لأفعلُ ذلك ما سَمَر السميرُ) (٥٧) أي ما تحدث أشراف الناس عن السمر في الليل،وقيل ما سمر السمير، أي ما اختلف الدهـر ٠

وقولـه :

أقـامَ بسعدٍ يشرب الماءَ آمناً   ويأكلُ وسطاها ويربض حجره (٥٨)

أخذه من المثل القائل (يربضُ حجرةً ويرتقي وسطاً) (٥٩)ويروى هذا المثل أيضا : (يأْكل خضرةً ويربضُ حجرةً)(٦٠) أي يأْكل من روضةٍ ويربض ناحية ويضرب لمن يساعدك مادمت في خير(٥٩) ويحاول الشاعر أن يستعين بالأمثال في سبيل التعبيرعما يدور في مخيلته من أفكار، كقولــه

(أبلغ سُراةً بني شِهاب كلّهـا   وذوي المثالةَ من بني عتاب)
كَثُرالضّجاجُ وَما مُنيتُ بغادرٍ   كَعُتيبــةَ بن الحارث بنِ شهاب
جللّت حنظلةَ المخانةَ والخنا   ودنست آخرَ هـذه الأحقــاب (٦١)

اذ ضمن بيته الثاني المثل القائل(أغدرُمن عتيبةَ بن الحارث) (٦٢)،*وقد ذكر ابو عبيدة* انّه نزل بـه أنيس بن مرة بن مرداس السلّمي في حرم بني سليم ،فشدَّعلى أموالهم فأخذها وربط رجالها حتى افتدوا،وهنا ضرب المثل للدلالة على الغدر والخيانة ،اتكأْ فيه على الموروث العربي لعلمه المسبق بما له أثر في تحسين الصورة الشعرية في ذهن المتلقي ٠

وقــــوله :

ولكنَّ جَمعاً كَجذلِ الحكا   ك فيه المقنع٩)‘والج **والحسَّر**(٦٣)

فقد ضم البيت المثل القائل(أخشــن من الجذيل المُحَكَك)(٦٤) ،والجذ ل هـو أصل الشجرة ،وبما ينصب من معاطن للابل فتحتك به الإبل الجربى،وهو مثل يضرب لمن يستغني برايه وعقله

وكذلك قـولـه :

وحرب اذا المرءُ السمين تَمَرَسَت   بأعطافهِ بالسيفِ لم يترمرمِ
ولم أحتسب سفيانَ حتى لقيتـــهُ   على مأقط اذ بيننا عِطرمَنشِمِ(٦٥)

اذ تضمن البيت الثاني المثل(أَشــام من عطرمَنشــم) أو(أَشـأم من مَنشـِم) (٦٦)

وقصة المثل ان امرأة اسمها(منشم) كانت تبيع الطيب ،فاذا عمد الناس الى القتال غمسوا أيديهم في طيبها ،وتحالفوا بأن يستيميتوا في تلك الحرب ،تقول الناس (قـد دقو بينهم عطر منشم)

ان الشاعر هنا اراد الإشارة الى أمر مهم غاية الأهمية وهو الثبات على العقيدة مهما كانت النتائج ٠

ويميل الشاعرالى اسلوب السخرية والإستهزاء بعقيدة المشركين وانها لاتضر ولا تنفع وهي أحقر من أن تحمي نفسها ،فيقــول :

أربٌ يَبولُ الثعلبانُ برأسه   لقد هان من بالت عليهِ الثعالبُ(٦٧)

ضمن الشاعر الشطر الثاني من البيت المثل القائل(لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)(٦٨)‘وقصته أنّ رجلا من العرب كان يعبد صنما ،فنظرالى ثعلب جاءحتى بال على ذلك الصنم فقال ذلك المثل

وقوله :

ويُعجبكَ الطريرُ فَتَبتليهِ   فَيُخلفُ ظنّكَ الرجلُ الطريرُ(٦٩)

أخذه من المثل القائل(أطري فأنّك ناعلـه)(٧٠) ،اي أدلي فأنّ عليك نعلين ،ويريد الشاعر القول ويتفق من

الرجال من يعجبك خلقته،فاذا بلوته وامتحنت أخلاقه وجدته لا يصدق ظنك فيه،بل ويخال في كل ما تعتمد عليه او تكِله اليه ،ومن تضميناته اللطيفة قوله :

انّكَ لم تكُ كابن الشريد   ولكن أبوكَ ابو سالم

حملتَ المئين وأثقالها   على أُذني قنفذٍ رازمِ

وأشبهتَ جدَّكَ شرَّ الجدو   دِ والعرقُ يَسري الى النائم (٧١)

لقد اراد شاعرنا العباس أن يضرب المثل بهذا الحيوان (القنفذ) لقلته ولصغر أذنيه وثباته على الأرض لا يستطيع الحركة من الهزال(٧٢)،ثم ضمّن بيته الثالث المثل القائل(العرق يسري الى النائم)(٧٣) ،يستشفُّ من المقطوعة وما فيها قيم تراثية بديعة البذرات الأُولى لظهور شعر النقائض اذ وقع التنازع بين العباس بن مرداس والخفاف بن ندبة على زعامة سليم ،وفيها تظهرالروح الجاهلية التي امتاز بها العباس قبل دخوله الإسلام (٧٤) .

وقوله :

وغداةَ نَحنُ مَعَ النبيّ جناحَهُ   ببطاحِ مكةَ والقنا يتهزّعُ(٧٥)

أخذه من المثل (مابقي من سهامه الاّ أهزعُ)(٧٦)، والأهزع : سهم يبقى مع الرامي في الكنانة وهو أفضل سهامه لأنّه يدخر للأُمور العظيمة الشديدة ،وقصدالشاعر هنا وصف الصحابة وتشبيهم بالسهام التي تدخر للمواقف العظيمة والصعبة ،وهكذا كان الشاعر مبدعا في اختياره للامثال ذات الدلالات العميقه التي تواكب مناسبة القول

الخاتمة

بعد هذه الدراسة او البحث في شعر الشاعر العباس بن مرداس الذي طالما ذاد عن حمى الإسلام بلسانه ونفسه ،فكان جنديا شهدت له سوح الوغى ،ومدافعا أمينا عن الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** ،وعن هذاالدين الذي أخرجهم من الظلمات الى النور ، لقد كان لهذه العقيدة أثرها العظيم في حياة الأُمة بوجه عام وفي حياة العباس بن مرداس بوجه خاص ،اذ تغير مجرى حياته من انسان يبغض الآخرين ويجوهم وينافرهم الى انسان تسمو فيه قيم الفضيلة ،فكانت أشعاره اللسان المعبر عمّا يجول في خلجات نفسه المؤمنة ،وقد توصلنا الى النتائج الآتية :

ـ أبانت الدراسة جونب مهمة في شخصية العباس بن مرداس ،لا سيما فيما يتعلق بحياته السابقه للاسلام وما فيها من اعتداد الشاعر بنفسه وقومه ٠

ـ شكل الإقتباس عند الشاعرقسما كبيرا في اشعاره اعتمد فيه بشكل كبير على القرآن الكريم دلل من خلاله على استيعابه لمعاني الآيات القرآنية ومضامينها الإيمانية ٠

ـ اقتصرت اقتباساته على بعض الأ لفاظ القرآنية وبم بناسب أغراضه

اختار الألفاظ ذات الدلالات الجديدة التي استخدمت أول مرة في القرآن الكريم

ـأما الرافد الثاني فكان الحديث الشرف بما فيه من حكم وموعظ وتوجيه الإنسان المسلم الوجه الصحيحة،وان كانت قليلة في شعره

ـ ومال الشاعر الى التضمين حرصا منه على اكساء شعره حلة جميلة ،اذ ضمّن اشعاره الكثير من أشعار الجاهلين ،لأنها مثلت عنده النموذج الراقي الذي يحاكيه ويقلده ٠

ـ وكان الموروث الأخر ،فكانت الأمثال التي جاءت عنده بشكل ملفت للنظر استطاع من خلالها أن يعطي أشعاره بعدا جماليا ساعد كثيرا على التأثير في نفس المتلقي ٠

الهـــوامـــــش والمصادر والمراجع

(١)لسان العرب ،لابن منظور(ت٧١١هـ) حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر ، منشورات دار الكتب العلميه ،بيروت – لبنان ،ط ١، ٢٠٠٢م ، مادة (قبَسَ)

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،السيد أحمد الهاشمي ،دار الفكرللطباعه – بيروت – لبنان ،٢٠٠٠م

(٣) ينظراستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر،زايد علي عشري ،الشركة العامة للنشر،طرابلس ،ط١، ١٩٧٨م ١٥:

(٤)ديوان العباس بن مرداس السلّمي ،جمعه وحققه د٠يحيى الجبوري،المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ،دار الجمهورية-بغداد ،١٩٦٨م:٥٦

(٥)سورة الشورى/٣٨

(٦) الديوان :٥٠

(٧) سورة الفتح/٢٩

(٨) سورة طه/٢٠

(٩) الديوان :٥٥

(١٠)سورة القمر/١٩، ٢٠

(١١) الديوان :٥٥

(١٢) سورة آل عمران /٧٨

(١٣) الديوان : ٥٤

(١٤)سورة النازعات /٣

(١٥) دلائل الإعجازفي علم المعاني ،عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٦هـ)،تصحيح محمد عبده ،تعليق محمد رشيد رضا ،دار المعرفة - بيروت ،١٩٧٨ م :٢٨٥

(١٦) الديوان :٧٤

(١٧) سورة يوسف /٦

(١٨) قضية الإلتزام في الشعر الأموي ،د٠مي يوسف خليف ،دار الثقافة للنشروالتوزيع ،القاهره ،١٩٨٩م:٢٦٨

(١٩)الديوان : ٩٣

(٢٠)سورة الانعام/٧٩

(٢١)) الديوان :٩٤

(٢٢) سورة الفرقان / ١

(٢٣) الأدب العربي من ظهور الإسلام الى نهاية العصر الراشدي (١- ٤٠هـ) ،دراسة وصفية نقدية ،د. حبيب يوسف مغنية ،دار الهلال ،بيروت. لبنان ،ط ١، ١٩٩٥م :٧٤

(٢٤)) الديوان :٨١

(٢٥)) سورة الفتح /٤٨

(٢٦) الديوان : ٥٠

(٢٧) سورة الكهف /٦٠

(٢٨) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام ،محمد عبد المنعم خفاجة ،دار الكتاب اللبنانة،مكتبة المدرسة ،ط٣، ١٩٨٤م :٧٧

(٢٩) الديوان :٧٨

(٣٠) نفسه :٨١

(٣١) سورة ا لأنبياء /٨٠

(٣٢) قضية الإلتزام في الشعر الأموي :٢٨٩

(٣٣) الديوان :٩٣

(٣٤) سورة مريم /٢٩-٣١

(٣٥) الديوان :١٠٢

(٣٦)سورالإخلاص/١-٢

(٣٧) الديوان :٥٥

(٣٨)نفسه :٨١

(٣٩) سورةالتوبة / ١٨

(٤٠) الديوان : ٧٧

(٤١) المعجم الكبير للطبراني ،مكتبة العلوم والحكَم . الموصل ط ٢، ١٩٨٣م :٣: ٤٤

(٤٢) الديوان :٧٥

(٤٣) الجامع الصحيح وهو من سنن الترمذي،تحقيق أحمد محمد شاكر،دار احياء التراث ، مصر ، ١٩٣٨م٠

(٤٤) لسان العرب مادة (ضمّنَ)

(٤٥) العمده في محاسن الشعر،وآدابه ،ونقده ،لأبي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ)،حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة بمصر ،ط٣،١٩٦٣م:٢|٨٤

(٤٦) الأمالي في الأدب الإسلامي ، د. ابتسام مرهون الصفار ،دار الحكمة للطباعةوالنشر ،بغداد، ١٩٩١ : ١٨٠

(٤٧)الديوان :١٢٧

(٤٨) ديوان امرئ القيس ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف . القاهرة ،١٩٨٤م :١١٤

(٤٩) الديوان :٥٥

(٥٠) ديوان امرئ القيس : ١١٤

(٥١) الديوان : ١٤٦

(٥٢) نفسه :٣١

(٥٣) (٢٢)ديوان أشعار النساء في عصر صدر الإسلام ،دراسة وجمع وتحقيق ،ليلى أحمد ناظم ،رسالة ماجستير ، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،١٩٨٩م :٢٨٧

(٥٤) الديوان : ٧٣

(٥٥) مجمع الأمثال لابي احمد بن محمد الميداني النايسبوري ،تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة –بيروت : ١/ ٢٨٧رقم المثل ١٥٢٤"

(٥٦) الديوان :٥٢

(٥٧) المستقصى في أمثال العرب ،للزمخشري ،دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ،ط ١، ١٩٧٨م :٢:رقم المثل ٨٥٤

(٥٨) الديوان :٦١

(٥٩) مجمع ا:لأمثال للميداني ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار الجليل ، بيروت، ١٩٨٧م :٣: ٥٢١. ٥٢٢، رقم المثل ٤٦٦٥

(٦٠) مجمع الامثال رقم المثل ٤٦٦٥

(٦٣) الديوان :٣٦

(٦٤) مجمع الأمثال :٢: ٤٢٩،رقم المثل ٣٨٨

(٦٥) الديوان : ٦٥

(٦٦) المستقصى في أمثال العرب :١: ١٠١: رقم المثل ٣٨٨

(٦٧) الديوان :١٤٦

(٦٨) مجمع الأمثال :٢: ١٩١، رقم المثل ٢٠٣

(٦٩) الديوان :١٥١

(٧٠) مجالس ثعلب ،تحقيق عبد السلام هارون ،دار المعارف،مصر ،ط٢، ١٩٥٦م ، ١: ١١٢

(٧١) الديوان : ٥٩

(٧٢) لسان العرب : مادة(طرر)

(٧٣))مجمع الامثال :٣:٩٢:رقم المثل :٣٢٥٩

(٧٤ الحيوان ٦: ٤٦٣

(٧٥) الديوان :٧٨

(٧٦)جمهرة الأمثال :لإبن دريد مادة(ر٠ع٠هـ)